النشأة الأخرى لحركة الضباط الأحرار

المعركة الحقيقية في مصر وليست فلسطين

عاد ضباط الجيش المصري من فلسطين إلى ثكناتهم يمضغون آلام الفشل ويجترون مرارة الهزيمة . ولم يكونوا مسئولين عن كل ذلك ولكن كانت القيادة السياسية هي المسئولة فهي التي أعلنت دخول الجيش الحرب دون تدريب ولا تسليح وهي التي أعلنت نهاية الحرب وصدقت على اتفاقية الهدنة.

كانت حالة الجيش بعد الهزيمة سيئة للغاية وكانت علامات الامتعاض وعدم الرضا ظاهرة على ملامح كل وطني حر . وصارت النفوس مهيأة لتقبل الكثير من الآراء الثورية الجديدة . وكان الحديث بين الضباط هو حديث الأسى الممزوج بالرغبة في التخلص من آثار الهزيمة وممن تسبب فيها.

وأدرك الضباط أن فساد الأحوال داخل البلاد كانت هي سبب المباشر في هزيمة الجيش في فلسطين ، وإذا أرادوا إصلاح الجيش وتطهيره من المفسدين فعليهم أولاً إصلاح أحوال البلاد وتطهيرها من المفسدين.

كان أول من أدرك هذه الحقيقة وصرح بها هو محمد نجيب : " في فلسطين اكتشفت أن العدو الرئيسي لنا ليس اليهود إنما الفساد الذي ينخر كالسوس في مصر والذي كان يتمثل في الملك وفي كبار القواد والحاشية والإقطاع وباقي عناصر النظام ودعائمه في مصر.

obeikandl.com

ويقول أيضاً : " وكنت أول من قال : إن المعركة الحقيقية في مصر وليست في فلسطين ، وهي العبارة التي نسبها جمال عبد الناصر لنفسه بعد ذلك . وكنت لا أتردد في أن أقول هذا الكلام لكل من أثق فيه من الضباط . كنت أحرضهم على القتال في فلسطين والانتباه لما يدور في مصر . وكنت أوحي لهم بضرورة عمل أي شيء لإنقاذ البلاد مما هي فيه . " [1]

بعد الحرب التقى الأصدقاء من ضباط الجيش من جديد واتفقوا على الاستفادة من ذلك واستغلال الحالة السيئة التي تعم الجيش ، والسعي لتكتل أكبر عدد من الضباط حول الحركة ، وذلك بالاستمرار في سياسة المنشورات مع التركيز على أحداث فلسطين والهزيمة التي لحقت بالجيش ومن المسئول عنها ومن يدفع الثمن ، وأين الخلاص .

أصبحت قلوب الضباط بعد حرب فلسطين أكثر تقبُلاً لما يُقال في السر وفي العلن. وكانت مجموعة الضباط تتحدث معاً داخل الثكنات دون خوف أو تردد وتسعى إلى التعرف على الطريق الذي ينقلها إلى عالم جديد ،ترى فيه مصر وجيشها في ثوب جديد . [2]

الضباط الأحرار والوفد

لم يقف ضباط الجيش الشرفاء عاجزين أمام ما رأوا من فساد وإفساد في حرب فلسطين بل عملوا على التعاون مع حكومة الوفد الجديدة على كشف هذا الفساد وتعرية المفسدين ، ولكن الوفد لا يرى في ضباط الجيش إلا حرَّاساً للوطن ينفذون

([1]) محمد نجيب " كنت رئيسا لمصر " مرجع سابق ط٢ ص ٨١.

([٢]) جمال منصور " في الثورة والدبلوماسية " مرجع سابق ص ٣٣.

ما يلقى إليهم من أوامر ، ولا دخل لهم بشئون السياسة والحكم وفي ذلك يقول محمد نجيب : " في ذلك الوقت حصل الوفد على أغلبية ساحقة في البرلمان وشكَّل مصطفى النحاس حكومة جديدة له ؛ فقررت أن أمد الجسور بيني وبينه ؛ فأبلغته عن طريق فؤاد سراج الدين وزير الداخلية الذي أصبح فيما بعد وزيراً للمالية، بضرورة الإسراع في بدء الإصلاح ؛ لينقذ مصر من الكارثة التي تعيش فيها.

وكان يشاركني في هذا الرأي جمال عبد الناصر وأعضاء اللجنة التنفيذية للضباط الأحرار . وكنا نرى أنه لا ضرورة إطلاقاً للقيام بالثورة إذا ما تمت الإصلاحات المطلوبة . لقد حاولنا الإصلاح قبل أن نلجأ إلى القوة ، وكنَّا نوزِّع المنشورات السرية التي تطالب بذلك.

وكتبتُ مذكرة من تسع صفحات للنحاس باشا ، شرحت له فيها ما حدث لنا في فلسطين ، وما يحدث لنا على يد حيدر ، والنهب الذي يتعرض له تموين الجيش ، ونقص الأسلحة والعتاد الذي نعاني منه ، وشرحت له أسباب تذمر الجيش في ١٢ بنداً ، ذكرتها له في مذكرة .. طلب مني سراج الدين أن أشطب توقيعي من على المذكرة ، فرفضت وقلت له : المزور المزيف هو الذي لا يضع اسمه، وأنا أتحمل كل ما يترتب على هذه المذكرة.

ورفعت المذكرة إلى النحاس ، ولكني لم أتلق ردّاً عيها . فعلى ما يبدو لم يؤخذ الكلام الذي جاء في المذكرة مأخذ الجد ، واعتبرونا أطفالاً لا يجوز أن نعمل بالسياسة . [1]

([1]) محمد نجيب " كنت رئيسا لمصر " مرجع سابق ط٢ ص ٨٩.

إذن ضباط الجيش لم يكونوا راغبين في الثورة ابتداءً إنما يطالبون بالإصلاح سلماً ، فلما عجزوا عن إدراك ذلك فكروا في الثورة . فشهدت مصر في تلك الفترة إضرابات عديدة في الجيش كان الأخطر والأكثر إثارة هو إضراب البوليس وإضراب الممرضين والمعلمين .. إلخ والقضية الوطنية لم تحل ، صحيح أن الإنجليز قد رحلوا من المدن تحت ضغط الحركة الوطنية والمظاهرات الصاخبة التي قادتها اللجنة الوطنية للطلبة والعمال إلا أنهم لم يزالوا في مدن القناة بل لم يزالوا بنفوذهم وسيطرتهم في القاهرة وفي مجلس الوزراء والقصر الملكي ، وحتى عرْض قضية مصر في مجلس الأمن لم يحقق سوى المزيد من الصلف الإنجليزي والتشدد إزاء المطالب الوطنية مما زاد من التهاب مشاعرنا الوطنية ، والقضية الفلسطينية تتفجر هي الأخرى لتثير معها مشاعر المصريين جميعاً . [1]

رئيس الوزراء يحقق مع عبد الناصر

في يونيو ١٩٤٩ ضُبِط لدى الجهاز السري للإخوان كتاب من كتب الجيش الممنوع تداولها للأفراد المدنيين والتي يقتصر توزيعها على ضباط الجيش وهو كتاب " استخدام القنابل اليدوية " وفي أعلى الصفحة الأولى للكتاب وُجد اسم "اليوزباشي جمال عبد الناصر" .

وأثارت هذه الواقعة مخاوف نظام الحكم من أن يكون للإخوان امتداد داخل القوات المسلحة وبالفعل ولفرط اهتمام الحكم بهذا الموضوع تولى التحقيق فيه إبراهيم عبد الهادي رئيس الوزراء بنفسه ، وهكذا استُدعي جمال عبد الناصر ومعه الفريق عثمان المهدي رئيس أركان الجيش لمقابلة رئيس الوزراء .

---

(١) خالد محيي الدين " الآن أتكلم " مركز الأهرام للترجمة والنشر ص ٥٦.

وسأل إبراهيمُ عبد الهادي جمالَ عبد الناصر : هل هذا الكتاب لك ؟

- **نعم .**
- **هل لك علاقة بالإخوان ؟**
- **كنت أعرف ضابطاً منهم اسمه أنور الصيحي .**
- **ولمن سلمت هذا الكتاب ؟**
- **لأنور الصيحي .**
- **وأين أنور الصيحي الآن ؟**
- **استشهد في حرب فلسطين .**

وهنا ثار إبراهيم عبد الهادي ودق المكتب بيده غاضباً وصاح:

– أنت يا أفندي بتضحك عليَّ ، انتو عايزين تخربوا البلد ، انتو فاهمين إيه.. أنتم لا تعرفون مدى الخطورة في أن ضابط جيش يشتغل مع الإخوان .. إن سيادة الفريق عثمان المهدي قال عنك كلام كويس ، ولولا هذا أنا كنت وديتك في داهية، ومن الآن فصاعداً أنت ضابط جيش وبس ولا علاقة لك بأحد.

هذه الواقعة ذكرها كل الضباط الأحرار في شهادتهم وأقر بها جمال عبد الناصر نفسه كما جاء في كتاب " أسرار الثورة المصرية " لأنور السادات.

وأحس عبد الناصر بالخطر وبانكشاف علاقته بالإخوان فقرر الانفصال عن الإخوان.

***

obeikandl.com